العدل في ظل الإسلام

العدل بمفهومه الإنساني هو إعطاء كل ذي حق حقه ولأهميته ومنزلته ، بعث الله روسله وأنزل كتبه ، لنشره بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وأن العدل صفة خلقية كريمة تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة ، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان.

وقد ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم : [تعدل بين اثنين صدقة] فاتقوا الله عز وجل فهي مفتاح كل خير، وهي مفتاح العدل ولأهمية العدل في الإسلام في كونه صفة من صفات الله تعالى ومن القيم الأساسية التي حث عليها القرآن و كررها في العديد من الآيات، أمر الله به عباده في آيات كثيرة من كتابه العزيز وبين محبته لأهله فقال عز وجل: ["يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون"] [المائدة / 8].

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال سبحانه: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً وقال سبحانه مبينا وجوب العدل في كافة الأحوال دون مراعاة لقرابة أوعرف أو غير ذلك من الاعتبارات الأرضية الجاهلية : ["يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا"] – النساء/ 135 .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين

بالقسط أي بالعدل دون أن تأخذهم في الله لومة لائم شهداء لله أي أدوها ابتغاء وجه الله فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أي اشهد بالحق ولو عاد ضررها عليك أو على الوالدين والأقربين لا تراعهم فأما إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي لا ترعاه لغناه ولا تشفق عليه لفقر فالله يتولاهما، بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي لا يحملنكم الهوى والمعصية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم وفي هذا الحق يتساوى عند الله عز وجل المؤمنون وغير المؤمنين، ويتساوى الأقارب والأباعد، ويتساوى الأعداء والأصدقاء والأغنياء والفقراء، وليس الأمر مجرد مثاليات نظرية لا تجد سبيلها في التطبيق العملي .. كلا وألف كلا وأشهر الأمثلة على ذلك قصة القبطي مع عمرو بن العاص والي مصر :

ضرب ابن عمرو ابن القبطي بالسوط وقال له: أنا ابن الأكرمين! فما كان من القبطي إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المدينة وشكا إليه، فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه، وأعطى السوط لابن القبطي وقال له: اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى من ضربه التفت إليه عمر وقال له: أدرها على صلعة عمرو فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربتُ مَن ضربني . ثم التفت عمر إلى عمرو وقال كلمته الشهيرة: "يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا"؟.

ويبين الله عز وجل محبته لأهل القسط والعدل في آيات كثيرة من كتابه الكريم فقال:
{"وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين"} سورة الحجرات / 9

وقال: {"وإن حكمت فأحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين"} المائدة / 42
وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {{إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا}} وروى مسلم كذلك عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {{أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال}} وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا: {{سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله}} وذكر أولهم {{إمام عادل}}.

قال سبحانه: {"ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون"} المائدة / 44 ، {"ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون"} المائدة / 45 ،{"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون"} المائدة / 47 ، {"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام"} . آل عمران/ 18 .

وكما قال تعالى: ("لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط") . الحديد / 25

واللّه عز وجل يقول: ("ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا") الإسراء/ 36

وقال اللّه تعالى: ("إن اللّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل") النساء:58)

وقال صلى اللّه عليه وسلم: ((اتقوا اللّه واعدلوا بين أولادكم) وقال تعالى: (فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)) سورة النساء الآية 3

ويقول عليه الصلاة والسلام: ((ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم)).

يقول عمر رضي اللّه عنه: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا وما كافأت من عصى اللّه فيك بمثل أن تطيع اللّه فيه .

► تفسير ► التوحيد ► الناس به